


صلاح ابراهيم هورامي

# الشخصية القومية الكردية

## دراسة في القيم والسياسة



سلسلة التوعية
62

# الشخصية القومية الكردية
## دراسة في القيم والسياسة

صلاح ابراهيم هورامي
ماجستر علم الإجتماع

أكاديمية التوعية وتأهيل الكوادر
السليمانية ـ ٢٠١٣

- الشخصيةالقومية الكردية
- تأليف: صلاح ابراهيم هورامي
- منشورات اكاديمية التوعية وتأهيل الكوادر
- السليمانية ـ سنة ٢٠١٣
- رقم الإيداع في المديرية العامة للمكتبات العامة

( ٢٩٠٤ ) لسنة ٢٠١٣

- عدد النسخ: (٢٥٠٠) نسخة
- التصحيح: محمد عمر
- الطبع التصميم والغلاف: جوان قادر صوفي
- رقم السلسلة: ( ٦٢ )

## المحتويات

## المقدمة:

على الرغم من التطورات الهائلة التي حصلت في المجتمع الكردي على مر القرون، وعلى مراحل تأريخية مختلفة الى يومنا هذا، سواء من حيث التغيير المكاني، حيث التواجد المكاني في المدن او الزماني من حيث تغيير اساليب المعيشة، واستخدام التكنولوجيا الحديثة من المكائن الزراعية أو الوسائل الاعلامية، السمعية و البصرية، الا ان الإنسان الكردي نفسه لم يتغير الى حدٍ كبير.

ملامح الواقع الكردي الحديث تكون منذ الحرب العالمية الثانية ومن خلال انتشار الوعي القومي والسعي الى تأكيد الذات الكردية على الساحة السياسية والتأريخية، الا أن المساعي المبذولة كانت تنطلق من متطلبات وضرورات الشخصية الخارجية.

إذا كنا نقف الآن على اللاتجانس الفكري الثقافي بين الشرائح الكردية المثقفة على مختلف مستوياتها، من حيث سيادة الفكر المثالي

والوجودي و نزعات من الفكر التقليدي، يجمع كل الأفراد تحت خيمة واحدة.

حاولنا في هذه الدراسة التغلغل الى المعاناة الداخلية للذات الكردية، انطلاقا من إيماننا بأن اي عملية تغيير المستهدفة لمعالجة أزمة التخلف، يجب أن تبدأ من الداخل الى الخارج.

تبلورت الدراسة من خلال الوقائع الخاصة و المشاكل اليومية والقضايا القائمة حياتياً و معاشياً و إنسانياً، وكانت الملاحظة و التعايش اليومي لفهم وإدراك النمط الفكري والسلوكي للأنسان العادي.

املي ان اكون قد اثرت موضوعاً يعد في غاية الدقة من الخطورة، بغية جلب الأهتمام اليه ونحن بصدد تغيير المجتمع الكردي، نحو العلمانية والتقدم.

## الشخصية

لا تزال الشخصية تشكل حقلاً خصبا ضمن اهتمامات ومساعي المهتمين من المفكرين والعلماء، ولا تزال النقاشات حامية حول العناصر الأساسية التي تشكل بناء الشخصية العامة. والسعي لتحديد اطرها. ولعل هذا يعود الى انماط الشخصية والإختلاف الأبنية الإجتماعية في المجتمع الإنساني الكبير.

إن ما نعينه بالشخصية في مفهومها العام و في سياق هذه الدراسة، هو ذلك البعد الإنساني للفرد الحامل للقيمة والموجهة لذهنيته وسلوكه تجاه المحيط.

من هنا نستبعد مختلي العقول والمصابين بالأمراض العقلية المستعصية، هؤلاء قد يكونون افراداً، ولكنهم لا يعدون شخصيات.

لما كان بحثنا هذا هو دراسة للشخصية في ضوء البناء القيمي السائد واثر ذلك في حياته الاجتماعية والسياسية عليه. سوف لا نخوض في التعاريف

المتعددة والمتضاربة للشخصية إلا ما يعيننا الى التقرب من هذا المفهوم، لذا اثرنا أن ندون التعاريف التالية:-

يقول الدكتور (محمد سعيد فرج): الشخصية نسق نفسي يتضمن عناصر اجتماعية ولا تدرك إلا في مواقف التفاعل وتساهم مع النسق الإحتماعي و الثقافي في تحديد الفعل الإنساني. "٢١:ص١٥٣".

ويشير (بارسونز) الى ان الشخصية نسق متطور ينمو نتيجة التفاعل الإجتماعي مع الموضوعات الإجتماعية و المواقف الإجتماعية واثناء عمليات التوحد المستمرة مع الموضوعات الثقافية وانماط المعايير التي تحكم التفاعل في المواقف الإجتماعية."٢١:ص١٩٦"

اما(دينكن ميشيل) Duncan Mitchell في تعريفة الشامل للشخصية يقول: (الشخصية هي مجموعة العناصر والمميزات البايولوجية والإجتماعية التي تميز سلوك الفرد عن بقية الأفراد الاخرين وتكتسب هذه العناصر والمميزات من قبل الفرد عن طريق الوراثة والبيئة الإجتماعية خلال المراحل التكوينية التي يمر بها قبل تكامل وتبلور شخصيته). "٣٠:ص٢٢٧"

إذن الشخصية هي حصيلة البيئة التي يولد وينشأ فيها أن الفرد حقيقة بيولوجية طبيعية وبينما الشخصية حقيقة روحية مكتسبة. الإنسان قد يفتقر الى الشخصية (كما هو عند مختلي العقول او من يسمون بمهزوزي الشخصية) لكنه يظل في كل الأحوال فرد، لايمكن ان ينتزع عنه فرديته.

## القيم:

القيم حقائق انسانية تعبر عن التركيب الإجتماعي، ولما كانت الشخصية حاملة للقيمة وأن سلوكه قيمي، فأن دراسة القيم تعد مفتاحا لفهم الشخصية وبنائها الذهني. إنها تشكل منطقاً لأفكاره واخلاقياته ومبادئه التي يتمسك بها. بوجه اخر هي الاراء والمواقف التي يتبناها الناس في المجتمع تجاه العالم والكون وتجاه مواقف الحياة اليومية، ومفاتيح لحل المشكلات والأزمات.

يقول (سامي خرطبيل) بصدد تعريفه للقيم:-

(أن القيم لم تنبت في التراب ولا سقطت من العلاء، وإنما هي صناعة انسانية عبر التأريخ). "١٠:ص١١"

القيم هي دافع على تمسك الناس بالعادات الإجتماعية (العرف، السنن، المحرمات، التقاليد والشعائر والطقوس والمراسيم). تقول الدكتورة (فوزية دياب) في تعريفها للقيم وفق هذا المنطلق:

احكام بالمرغوب فيه على حساب معايير الجماعة، فنحن احكامنا التقويمية على الاشياء

مقيدون بمعايير المجتمع و نتمثلها تمثلاً في اثناء تنشئتنا الإجتماعية، ١٦: ص ٣٣٦)

اما الدكتور (محمد سعيد فرج) يقول القيم عنصر مشترك يدخل في تركيب البناء الإجتماعي وتكوين بناء الشخصية، فالشخصية تتوحد بالقيم التي تربط بمعنى الحياة عند الشخص وتصير حافزا وراء سلوك وفعل وفكر. (٢١: ص١٩٦)

في تعريف الدكتور (قيس النوري) المجرد للقييم يقول:

(القيم values هي جوهر الحضارة البشرية وخلاصة الشخصية الإنسانية وهي ما يمثل قمة الارتقاء التي بلغها الإنسان في تطوره الحضاري والذي يميزه عن الفصائل الحيوية الاخرى كافة، التي اقتصر تطورها على الجوانب الجسدية فقط) ((١٧: ١٥٢))

في سياق الدراسة، اذا كنا نضع الدين موضع الرصد، كقيمة عليا ولا تزال قطاعات واسعة من الشعب الكردي يتمسك به فإننا نقصد الدين كطقوس و ظاهرات و تشريعات وخوارق غير طبيعية وغير معقولة ومنافية للمنطق العام، صنيعة

الملالي والمشايخ المتخلفين عن ركب الحضارة والتقدم، لا الدين كقيمة انسانية اجتماعية.

ان القيم هي وسائل صنعها الإنسان لتمكنه من فهم و التعامل مع محيطه، وبما ينظم حياته، ويجلب له الاستقرار والديمومة والسعادة كفاية انسانية عليا.

ان فهم المجتمع بطيء الحركة، وقع قروناً في دورة الفقر و التقاليد والمرض والجهل يتطلب أن ندرس الأساس التاريخي لوقوعه المؤلم في شرك التاريخية المستمرة لوقوعه هذا.

إننا إذ نعيد صفحات من تاريخ مجتمعنا، فهذا لكي نضع حداً للعوامل السلبية والمعوقات البنيوية التي أحالت دون الاستقرار الإجتماعي وتفككه السياسي بل تأخره على الصعيد الإقتصادي.

يقول (سي رايت ميلز): "٨:ص١٧"

(إننا ندرس التأريخ لكي نتخلص منه). و هذه هي الطريقة الوحيدة لوضع حدٍ للتخلف وبالأخص بالنسبة لتلك المجتمعات التي رزحت طوال قرون تحت ثقل الماضي بدون أن تتاح لها فرصة للحرية وأخذ المبادرة والاستقرار.

يعد المجتمع الكردي من المجتمعات التي رزحت تحت وشائج نمط الأنتاج الآسيوي. هذا النمط الذي كان سائداً في المجتمعات الشرقية من تاريخها الممتد من العصر البدائي الى اواخر عصر الاقطاع.

وقد أعقب هذا النمط الذي كان سائدا المشاعية القبائلية حيث تميزت العلاقة بين الإنسان والطبيعة وبين الإنسان وأخيه الإنسان بكونها علاقة محددة ثابتة نسبياً. في ظلها بقيت الأوضاع العامة بما يخص وسائل الأنتاج والبني الفوقية كما هي يحدد نمط الأنتاج الآسيوي ثلاث ابعاد هي:-

الأرض الزراعية - الري - الدولة.

وتعد هذه الخصائص الثلاث متلازمة تكمل بعضها الآخر، الأرض الزراعية تعتمد على الري، و هذا بدوره يحتاج الى التنظيم في التوزيع و إنشاء السدود مما اوجب تكوين سلطة عليا تشرف على ذلك. وهي معضلة لم تكن بمقدور الفلاح وحده القيام بها، كما كانت السلطة تلك تتولى مهام الدفاع والحد من اثار الكوارث، مما ميز المجتمع الكردي في هذا السياق عن المجتمعات الآسيوية الاخرى مثل وادي الرافدين أو وادي النيل، هو أن المجتمع الكردي لم يكن محتاجاً اصلاً لدولة تتولى المهام السابقة، وذلك لكثرة المياه وتعدد اماكنها وكثرة النباتات، هذا الى جانب وعورة المنطقة وارتفاعها منع عنها الغزاة والدخلاء طوال قرون عديدة. في هذا النمط من الأنتاج، كان المجتمع فقيراً في وسائله

الأنتاجيـة، كمـا كـان فقـيراً في بنيانـه الإجتمـاعي والسياسي والثقافي. الأدوات والآلات التي تم العثـور عليهـا والـتي تعـود الى العـصر الحجـري، كـالمحراث والفـؤوس والمطـاحين لم تختلـف عـن الموجـودة في القــرى الإســيوية الى عهــد قريــب ومنهــا في قــرى كردســتان. وانطلاقـاً مــن مبدئيــة الأرتبـاط بـين الوجود الإجتماعي والـوعي الإجتماعي، وكـون هـذا الوجـود في الـنمط الأنتـاجي قـد تميـز بنـوع مـن المحدوديــة والثبــات طــوال قرون،فــأن الــوعي الإجتمـاعي لهـذه المجتمعـات تميـز ايـضاً بالثبـات طـوال قـرون، ولنأخـذ علـى سـبيل المثـال الحيـاة الإجتماعيـة في العـراق القـديم. لـوحظ في مجـال نـسق الأسرى بأن (احكام الـزواج كانـت متطـورة و معقـدة جداً، في الوقت نفسه أنهـا لم تكـن تختلـف كـثيراً عـن احكـام الـزواج في المجتمعـات الـشرقية المعاصـرة. "١:ص٧٢"

وكانت الأسرة العراقية القديمـة تمثـل ( نموذجـاً مصغراً لنظام الدولة الـذي كـان سـائدا آنـذاك، فكمـا كــان الملــك صــاحب الــسلطة العليــا والمطلقــة في مملكته، كذلك كان الأب في أسرته، ولذلك سـمي الأب برب الأسـرة اي كبيرها). "٩:ص٤٩"

والأسـرة الكرديـة لاتـزال أسـرة أبويـة، تـسندها أسس ميثولوجية فكرياً، و سلوكياً، سواء في موقفها مـن الـزواج أو المـرأة والعلاقـات الجنـسية و مـن تفضيل الـذكور علـى الأنـاث، مع بعض الإختلافات النسبية بين المدن والقرى، كذا هـو الحـال بالنـسبة للعـادات و التقاليـد الـتي حـددت أغلبهـا منـذ الالاف مـن الـسنين ( إن فكـرة التقريـب للمعبـودات بتقـديم الأضاحي و القرابين أو اتخاذها سلماً، تصعد عليه رغبـات العـالم الأرضـي ومخاوفـه الى عـالم الـسماء، والتوسل بها لتحقيق مايبتغيه الأفراد و المجتمعات من منافع، و دفع ما يتهددها من أضرار، كل ذلك قد نـشأ مـع الإنـسانية وظـل ملازمـا للفكـر الـديني في مختلـف مراحلـه، وسـيظل باقيـاً مادامـت العقائـد والعبادات سائدة).

و كانـت الطبقـات الحاكمـة، و مـن أجـل تـدعيم مـصالحها و بقـائهم، يـدعمون ويـشيعون الأوهـام والخرافات والأساطير بين عامـة النـاس، وقـد عانـت الشخـصية الكرديـة جيـل بعـد جيـل مـن وطـأة القـيم المتخلفــة. وطــوال قــرون لم يكــن يــشغل هــذه الشخـصية سـوى ارضـاء القـوى الغيبيـة و القنـاعـة التامة بمجريات الحياة القائمة، و عملية التشكيك و

التذمر و التمرد تجاه حالة التناقض واللاتكافوء بين طبقة واخرى، كان يعني الكفر والخروج عن المكتوب والمقسوم.

ان جملة الإنتفاضات والثورات الكردية ان لم تكن ذا أساس ديني، فأن سقوطها او اجهاضها كان خلفه العامل الديني.

المتتبع للمذاهب والتيارات الدينية، سواء الإسلامية او غير الإسلامية، يذهله وطأة الدين في كردستان.

فهناك الإسلام، المعتدلون والمتعصبون: الصوفية، النقشبندية، القادرية، الكاكائية، العلي الاهية، الشاباك، القزلباش، والبكداش و هناك يزيديون و مسيحيون ...الخ.

في كتابه(مع الأكراد)) يقول (توما بوا). "١٤:ص١٠٧"

( الحياة اليومية الكردية مشبعة بالإسلام) أي انها تتغلغل في ادق جوانب الحياة اليومية للإنسان الكردي، في المأكل والمشرب والملبس والعلاقات العامة، ثم في تقييمه للظواهر البشرية والطبيعية بل وكان المدافع الجسور عنه. ثم في تقييمه للظواهر البشرية والطبيعية).

أن الأكراد هم وحدهم من دون سائر المسلمين تقريباً حملوا السلاح دفاعاً عن الخلافة العثمانية، مطالبين بإعادتها بعد الغائها في العشرينات من هذا القرن على يد اتاتورك، ففي ١٣ شباط ١٩٢٥ رفع الشيخ (سعيد بيران، شيخ الطريقة النقشبندية راية العصيان المسلح ضد حكومة اتاتورك، وكان يضمن مطالبه الثورية تنصيب الأمير (سليم بن سلطان عبد الحميد، خليفة وسلطاناً). "٣٤:ص٢٦"

لقد لعب الدين دوراً هاماً في تأريخ الشعب، و في الوقت الذي تبنته الشعوب كسياسة في سبيل تطور مستقل، حصل عندنا العكس استخدام الدين لصالح القوى المسيطرة، ومن اجل تمزيق الوحدة الوطنية والاغتراب عن الواقع. بالنسبة للشعوب المحيطة، نلاحظ مثلا المذهب الشيعي أصبح ايديولوجية الفرس والهام المقاومة ضد العدوان الخارجي. والأتراك استغلوا الدين بشكل ماهر في جعل الأناضول وطناً لهم. فقط الأكراد لم يستخدموا الدين من اجل تطورهم من بين شعوب الشرق الأوسط). "٤: ص٤٠"دعك من الدور السلبي الخطير الذي مثله الدين في انهيار الإمارات او

الكيانـــات الكرديـــة المـــستقلة. إن ( التناقــضات الدينيـة الـسائدة في كردسـتان شـرق ارمينيـا، كانـت لهـا دور سـلبي، إعـداد مـن رؤوسـاء العـشائر قـد سقطوا في موجة التناقضات تلك، و التي كان يمثلها رجال الدين متعصبين). "٦:ص٢٩٤"

ولـيس أدل علـى سـبيل المثـال، الحـصر (أمـارة السوران). قائد الإمارة (مير محمد) أو (كـور محمـد) كانـت قـد أمتـدت سـلطته الى مـساحات واسـعة مـن كردستان وما حولها، وجذب اهتمام ملـوك سـعوا الى كسب وده، مالذي كان وراء سقوطه؟

في احــد الأيــام افتــى احــد الملالــي العثمــانيين المدعو (محمد الخطي) ضـد الأمير، لأنـه وقـف ضـد الـسلطان العثمـاني( خليفـة الله علـى الأرض) قـائلاَ: أن من يحارب جيش الخليفة... غير مـؤمن و زوجتـه طالق. فمـا كـان مـن الأمـير إلا ان تخلـى عـن سـلاحه، وسلم نفسه للخليفة، الذي جازاه بأن اعدمه.

أن اثــار التعــصب الــديني، تجــاوز الإخفاقــات الفرديـة والجماعيـة الى حالـة التـوتر والـصراع بـين المجتمـع الكـردي والمجتمعـات المحيطـة بهـا، وقـد كان الدين خلف الخلاف بين الكرد والآشوريين. وقـد تمكن الأستعمار من اللعب بورقة الدين في إشعال نار

الحـرب بـين هـذين الـشعبين والـسيطرة عليهمـا. "٦:ص٢٢٧"

هذا الى جانب كون العامل الديني لعب دوره علـى مدار التأريخ في أضعاف الاحساس القومي.

**الخلاصـة**: يمكـن القـول بـأن الـتراث القيمـي في المجتمع الكردي تشكل من مصدرين.

**الأول**: خلق البيئة الأيكولوجيـة الكرديـة والـتي توارثها منذ القدم وشكلت (الزرادشـتية) احـد ابـرز هذا المصدر.

**الثـاني**: نابعـة مـن البيئـة الفكريـة الدينيـة الـتي تواجدت في المنطقة بعد الميلاد.

## مظاهر الحياة الشخصية الكردية والبعد القيمي الديني

إن القيم التي تشكل منطلقاً للأفكار والأخلاقيات والمبادىء التي يحملها الإنسان ويدافع عنها، والتي تعد من جانب آخر الركيزة الإساسية في البناء الحضاري، وهي ايضاً موقف الإنسان (كذلك موقف الفئة الإجتماعية والطبقة والمجتمع) ايجاباً وسلباً من ظاهرات العالم الموضوعي، وهو حقل اساس، قلماً تنبه اليه المفكرون والثوريون في بلدان العالم الثالث، هؤلاء الذين كان همهم تحقيق تقدم اجتماعي، فكان الفشل نصيب اكثر محاولاتهم. هؤلاء كان يغيب عنهم دائماً مسألة التقدم الإجتماعي وبناء الإشتراكية يتطلب منهم بدء فهم ذهنية الإنسان الذي يتعاملون معه. ان تحليل الواقع النفسي والسلوكي للإنسان المتخلف يظهر لنا ابعاداً اكثر عمقاً وإتساعاً، مما يظهر لنا في الواقع السطحي او في مجرى تعامله اليومي مع الوقائع والأحداث.

القيم بوصفها اداة للتفسير وتحديد الأشياء والمواضيع والظواهر، تشكل موقفاً إزاء الكون والإنسان والحياة والناس. في كل مجتمع توجهات قيمية محددة يفرزها نظام القيم السائد في مجتمعهم، ويقصد بهذه التوجهات تلك الآراء والمواقف التي تتبناها الناس في المجتمع تجاه العالم او الكون، وما فيه من ظواهر المادية ومعنوية والتي تتضمن بصورة ظاهرة او خفية مغزى الحياة الإنسانية لذلك المجتمع او الظروف التي يعيشها افراد ذلك المجتمع في واقع حياتهم اليومية). "١٧:ص٦٥"

ان القيم في المجتمع بأبعادها (مواقف الفرد تجاه الظاهرات والأشياء والأفكار والأبعاد الإجتماعية: نسب الأب، لطقوس الزواج، ثنائية الجسد الروح، و طرائق وسلوكيات ذات النزوح الغيبي...الخ) لم تأتي إعتباطاً، إنما هي مغذية للبناء الإجتماعي ومحركة له نحو الأستمرارية.

البناء الإجتماعي social stracture يعطي الشكل الأساسي للمجتمع، يعرف (كارل مانهايم)، البنية الإجتماعية بكونها( نسيج القوى الإجتماعية

في نشاطها المتبادل والذي تخرج منه مختلف نماذج الملاحظة والفكر. "٧:ص١٠٠"

الشخصية التي نحن بصددها، تتكون من المجموع الكلي للعلاقات الإجتماعية، المكونة من البناء الإجتماعي السائد، وبالتالي انها تعكس أوجه هذا البناء الإجتماعي السائد، الذي توجد فيه.

في المجتمع الكردي فأن (البعد الديني)، يعد البعد الأساسي في البناء الإجتماعي، والذي يشكل الجذر الأساسي الذي تنمو من خلاله الشخصية، في الوقت الذي تشكل فيه الإختلاف في الوظائف الذهنية بإختلاف في الأرضية الإجتماعية التي تنمو فيه. فإن الأرضية الإجتماعية في الجتمع الكردي قائمة على أساس ثابت هو (الدين)، أو البعد القيمي – الديني. والشخصية ضمن هذه الأرضية كما يصفها (ليفي بروهل) في واقعها الذهني (لا تستطيع الفصل بين تصوراته الخاصة وبين تصوراته الجماعية، ذلك أن جميع تصوراته يغلب عليها الطابع الجماعي، و تنبع من روح المشاركة الإجتماعية القوية جداً، والتي تهيمن بشكل مطلق

على مشاعره و على وظائفه الذهنية). "٢٥: ص٣٩"

ما هي إفرازات هذا الواقع ( القيمي/ الديني) على الفرد، و هو يمارس دوره داخل المؤسسات الإجتماعية؟

قبل هذا ما هي سمات الذهنية المتخلفة؟

الذهنية المتخلفة تتصف بإنتقال السلوك من جيل الى آخر بشكل جامد إجمالاً، تحكم العادة والتقليد بالسلوك، لا القانون نظام اجتماعي تحكمه مرتبية جامدة، إنتاجية منخفضة جدا، و اهم من ذلك هناك مقاومة للتغيير تنبع من تظافر نظرة رضوخية الى العالم الطبيعي (الرضوخ لسيطرة البيئة والقوى الماورائية) مع بنى سلطوية، مما يعرقل عملية التغيير من خلال سد السبيل امام ظهور قوى الرفض. "٢٢:ص٣٦"

من هنا تبدو الذهنية المتخلفة عاجزة سطحية، ذا طاعة عمياء لما سلف تسيرُ ضمن خطوط ثابتة واطار محدد، غير مدركة لقواها الكامنة في عملية التغيير و تبدل الواقع، ضعيفة وخائفة في تصدي لمشاكلها و مصاعبها الحياتية، تلجأ الى الغيبيات والافكار الخرافية والاساطير.

في المجتمع الكردي، لا يزال الولي او الشيخ أو الملا يلعب دوراً كبيراً في صياغة ذهنية الفرد.

الذهنية المتخلفة تفتقر الى التفكير الجدلي، و لاتؤمن بالسببية الطبيعية، وبالسمة الموضوعية للقوانين، وهي في كل الاحوال لاتختلف كثيراً، إذا جاز لنا المقارنة عن العقلية البدائية.

ان البدائيين ( ينفرون اشد النفور من الاستدلال العقلي، و مما يسميه المناطقة بالعمليات المنطقية للتفكير، كما لاحظوا ايضاً ان هذا النفور لايرجع الى قصور اصيل او عجز طبيعي في إدراكهم، بل بالأحرى الى مجموعة العادات العقلية التي درجوا عليها، أي الى طريقتهم في التفكير.) "٢٦ ص٦"

يقول الدكتور (يوسف نور عوض) عن المجتمع البدائي:

(مجتمع لايقوم على اية فكرة من الفكر، أو هدف من الأهداف، اذ هو يؤقلم حياته مع الظروف الطبيعية والإقتصادية دون ان يقوم بدور فعال نحو تغيرها، ولا يلعب الفرد دوراً هاماً في حياة هذا المجتمع، اذ المجتمع محكوم بأنظمته الخاصة التي تستجيب لها جميع الافراد بصورة تلقائية، وتلعب الموروثات الشعبية والفولكلور والاساطير دوراً في

حياة مثل هذا المجتمع الذي يؤسس عادة على نظام قبلي او عرفي. "١٧:ص٦"

- الذهنية المتخلفة، تقيم الاشياء بمظاهرها، ذلك لأنها تفتقر الى الروح العلمية، و تضخم الذات على حساب الموضوع، انها ذهنية تابعة، تميزها المحاكاة أو اجترار الماضي، وكل شيء عندها ذا قصد وتدبير، وهنا ايضا نلتقي مع العقلية البدائية من حيث عدم تفرقتها بين العالم الأرضي والعالم السماوي، ان ( العالم المرئي والعالم غير المرئي لايكونان في نظر العقلية البدائية الا عالما واحداً، و ان قوى العالم المرئي مرتبطة دائما بقوى العالم الآخر. "٢٦: ص٥٤.

الزمان ، بأبعاده: الماضي والحاضر والمستقبل تشكل عند الذهنية المتخلفة ذا امتداد واحد، فالحاضر هو الماضي الذي يعشعش في تلافيف مخه ويحرك وجدانه، والمستقبل هو الحاضر الذي لايتبدل ولا يتغير.

يشكل الجن والعفاريت والشياطين جانباً آخر من جوانب الذهنية المتخلفة، كثيراً من مظاهر العجز وقلة الحيلة وسؤ التدبير تعزى الى الشيطان، انه الشماعة التي يعلق عليها الذهنية العاجزة

مساوئها وسلبياتها، فلا عجب ان يردد في كل زلة او خطأ (اعوذ بالله من الشيطان الرجيم) او (اللعنة على الشيطان) ويقول مع نفسه لولا الشيطان لما فعلت ذلك او جرأت على فعل ما فعلت..

التشبث بالأولياء وقبور السادة والشيوخ للتوسط لها عند الله ولقضاء حاجة، او لحل مشكلة مستعصية، والأيمان بالشعوذة وقارىء الكف، و وضع التعاويذ على الصدر او تحت الراس عند النوم، او تعليقها امام المنزل، او في واجهة السيارات دراً للاخطار. واستخدام الخف (النعل) او حدوة الحصان او طبع اكف من دم الخراف على حاجيات عزيزة او غالية.

كل هذه الرموز تعد جانباً عقلياً وسلوكياً مهما في الذهنية المتخلفة. وهي منتشرة في مجتمعنا الكردي.

والذهنية المتخلفة نتيجة لشعورها بالغبن والحرمان والعجز في مواجهة المصاعب، تتلمس البركة والغفران من اضرحة الأولياء ولكل ولي صفة خاصة، منهم عرف عنه شفاء مرض العيون او السرطانات او يسهل من عملية انجاب الذكور،

والآخر يمكن ان يتوسط عند الله لمسح الذنوب... الخ، ومناطق كردستان تعج بمثل هذه الأضرحة.

للقرابة والطائفية والعشائرية قوة وهيمنة على الذهنية المتخلفة، وتطبعه بطابع اجتماعي غير مميز، وهذا ما يولد عقلية متشابهة، تلقائية التصرف، خاضعة للعقلية الجماعية أو عقلية المسيطر.

الولاء للأسرة أو العشيرة، غياب التفكير المستقل، العجز في اتخاذ القرار الشخصي، تبعية عمياء للآخرين، القناعة بما هو عليه... تلك هي سمات الإنسان ضمن هذا النسق، (القبيلة).

وهكذا وعلى هذا النحو نستكشف الأهمية القصوى للفكر الديني في العملية التثقيفية والتغذية الفكرية، والتي برزت من خلال الأقوال والأمثال و ذكر الآيات بشكل غير طبيعي وفي مناسبات وغير مناسبات، وخلال الأيمان بالحظ والأدعية و الإبتهالات والشعوذة والسحر والإيمان بالجن والعفاريت و وصيبة العين وقدسية رجال الدين وشيوخ الطرق وائمة المساجد وقبور الأولياء، كما ان المفاهيم مثل الخير والواجب والحق والعدالة

والحب، ملتحمة بالأحكام الدينية، وكذا الإحترام و الشرف والكرامة الشخصية.

ان الابعاد الذهنية والسلوكية السابقة، غدت تقاليد مترسخة تقف حاجزا بين الشخصية و مجالات تحررها، امامها يبدو الفرد مقيدا، لا حول له ولاقوة، العادات والتقاليد المدعومة والمسندة و من القيم الكلية والمتجسدة في الأعراف والسنن والمحرمات والشعائر والطقوس القسرية لاتدع للفرد خيارا. انها عمل غير واعي، بقدر ما تعني تسليم بشيء ما، و القبول بوضع مايتجلى بالطاعة لشخص أو جماعة أو لقوى يشوبها الغموض، وهي في ذلك تبعد الفرد عن التفكير بوضعه وشعوره بذاته.

## وقائع الحياة الإجتماعية والثقافية والبعد القيمي

المعروف ان لكل مجتمع ظروفه الخاصة من حيث بنيانه وتطوره العام. والدراسة النوعية الخاصة تظهر السمات والمزايا النوعية لهذا المجتمع. وعبر الفهم الموضوعي، وفهم المتناقضات الخاصة ضمن اطار الجزءُ والكل تتحدد اساليب النضال والكفاح و أولوية ما يجب ان يتجه اليه الإهتمام على الصعيد الفردي والجماعي. واقع الحال في المجتمعات الإنسانية اثبت ان عملية التغيير والتبدل والعصرنه، تبدا من ذهنية الأفراد، اي ان الثورة يجب ان تبدا من الداخل (الفرد). ان المجتمعات الأوروبية لم تحقق تقدمها إلا من خلال الأرضية الفكرية ثم الإقتصادية في سنوات ما قبل القرن العشرين. يقول (بيتر ورسلي) في كتابه (العوالم الثلاثة):

(بالنسبة لأوروبيي القرن التاسع، فأن تفوق ثقافتهم كان واضحاً، كان تفوقاً شاملاً (حضاريا)

على الهمجية والخرافة، وليس تفوقاً إقتصادياً فقط). "٣:ص٤٧"

هذا الجانب (القيمي الديني) يطرح نفسه بشكل صارخ في بلدان العالم الثالث، والتي كانت دائماً نقطة الضعف التي استغلتها بلدان المستعمرة، ولا تزال تشكل نقطة الضعف في وعيها وادراكها للظروف المعقدة المحيطة بها.

أن الاثار المدمرة لهذا الواقع على الفرد، كأصغر وحدة اجتماعية، تستدعي من العلماء المهتمين بعملية التغيير السعي الجاد لوضع الحلول العملية لإنتشاله من ذلك الواقع. عندما يتصرف الفرد تصرفا عقلانياً حضارياً معاصراً، فأن ذلك يعني بلاشك عقلانية المجتمع. ودور الفرد في المجتمع تحدده اساساً مجموعة المفاهيم والمصطلحات والعناصر الثقافية والجزاءات السائدة في المجتمع. يقول الدكتور (قيس النوري):-

(أن ادراك الفرد لنفسه وللناس المحيطين به وللبيئة الطبيعية التي يعيش فيها وللكون غير المحسوس يجري وفق الصور والإنطباعات التي تولدها القيم في نفسه). "١٨: ص٣٢٨"

ان فهم القيم values على وجه الدقة في البناء الفكري والسلوكي للفرد، يقودنا الى فهم الشخصية وابعادها، بل و اوجهه المستقبلية لها. والواقع اننا إذ نتعرف الى شخص من الأشخاص ينصرف انتباهنا أول ما ينصرف الى ان نطلق احكام قيمية ضمنية او صريحة على ارائه ومواقفه، هذه الآراء والمواقف التي تنم عما يرجح ويفضل. اننا لانستطيع ان نتصور الواقع الإنسانى في ذاتنا ولدى الآخرين بصورة مستقلة عن عضوية تبادله التاثر والتاثير.

ولنأخذ بعض المؤشرات ذات الصلة الحياتية بالفرد، وأثر لبناء القيمي فيه على سبيل المثال لا الحصر.

## العائلة

البناء الإجتماعي المتكون من انساق اجتماعية متعددة متداخلة، يعد العامل الأساسي في تحديد السلوك والعلاقات الإجتماعية في المجتمع، والذي يحرك هذا البناء ضمناً هو الفكر الديني في مجتمعنا بدرجة أو بأخرى. وتعد الأسرة اهم نسق اجتماعي يوثر في تكوين شخصية الطفل، ويساعد على النمو الإجتماعي والنفسي للصغير وتشكيل سلوكه حسب سلوك والديه و قيمهما. "٢١: ص٣٤١".

العائلة بإعتبارها وحدة إجتماعية مؤلفة من عدة افراد، لهم صلاة دموية مباشرة ويعيشون تحت خيمة واحدة، لها قدسية كبيرة عند الشخصية الكردية. كانت دائما الوحدة المكانية الأساسية في لجؤ الفرد اليها، ليس فقط لكونها المشبعة لحاجاته، وإنما ايضاً واقع الأمان والإحساس بالإنسانية والشعور الجماعي، وفي نفس الوقت تعني ايضاً الشعور بالإستقلال والمسؤولية. إلا انه ضمن هذه الوحدة الإجتماعية، العلاقات بين مؤسسيها(الرجل والمراة) علاقة غير متكافئة عامة. وهذه الحالة هي غير ما كانت عليه في الماضي البعيد.

الدارس للحياة الإجتماعية الكردية القديمة، يقف على نمط من العلاقات المتوازنة والمتكاتفة التي كانت تعم افراد الأسرة والتي كانت وليدة الحياة المعيشية الجبلية. وفي ظل غياب العبودية في هذا المجتمع فأن الأفراد عامة و للمراة خاصة لم يعانوا من تبعية او خضوع، وكانت للمراة الحرية في الحياة والزواج والعمل، ولها تواجد في الحياة الإجتماعية بين قومها وفي أبداء الراى والمشاركة في الحياة الإجتماعية.

ومع التغيرات الثقافية او بمعنى آخر، مع الغزو الثقافي للمنطقة الكردية فأن النظرة الى المراة تغيرت، غدت مواطنة من الدرجة الثانية، خلقت من اجل الرجل ومن ضلعه، ناقصة العقل والدين وليس لها جماعة ولا سفر لها إلا بولي... من هنا ارتبط كل ما هو عظيم ومقدس بجنس الذكر، وكل ماهو مدنس و منحط بجنس الأنثى. لنتأمل عملية تكوين الأسرة، وكيف يطغى الرجل على الموقف والمراة، البيدق تقف بوضع جامد مترقب: الرجل يجد الفتاة التي تستهويه بشكل او بآخر. ويقرر امتلاكها، الأب او الأخ او من ينوب عنهم من العائلة. يوافقون، الملا(رجل الدين) يقوم بالمهام

العقائدية في عملية إكساب الزواج صفة الشرعية ومباركتها.

هذه الوضعية تسببت في تخلف المراة الكردية وانقيادها اكثر من الرجل للأساطير والخرافات.

## الجنس

بعيدا عن التاثيرات الفردية في تركيزها على الجنس كعامل محدد وأساس في حياة الإنسان، وبإعتبارها الفعالية المسيطرة او الموجهة له، فأن للجنس اهمية لايستهان بها في حياة كل فرد بل يمكن القول انه يشكل المأزق النفسي (بروز العصابات و الأضطرابات والأنفعالات الشخصية) في مجتمعنا من حيث وقوعها بين محددات القيمة/ الغيبية وبين اخذها مجراها الطبيعي.

أن الحياة الجنسية للإنسان تعتمد على طاقة بايولوجية كغيرها من الطاقات البايولوجية التي تحرك حياة الإنسان وتغذي وتوجه نشاطاته... أن التصريف الطبيعي لهذه الطاقة ضروري لإقامة التوازن البايولوجي الكامل في حياة الفرد وأن حبس هذه الطاقة أو اعتراض تصريفها او إساءة تصريفها من شأنه ان يؤدي الى الإخلال في هذا التوازن

البايولوجي، وهو الإخلال الذي لابد له ان ينعكس في سلوك الفرد بوصفه كائناً متعاملاً و متفاعلاً مع المحيط). "١٣ ص٢٠"

إن النظام الروحي المعنوي أفقد هذا البعد الفطري الطبيعي محتواه.

إن مأزق الجسد/ الجنس، هو مأزق إنسان العالم المتخلف الخفي الذي يعيش تحت وطأة نظام روحي وفكري غيبي ملحق. مأزق ناشيء بين ضروريات الجسد وبين فروض الطقوسية الدينية الذي يرى كل مطلب جسدي بهيمي ومحتقر اساساً. وقفت بصفتي(اخصائي إجتماعي) في الردهة النفسية سابقاً على الكثير من الامراض النفسية وحالات من إضطراب الشخصية، ناتجة عن صعوبة التوفيق بين متطلبات الجسد الجنسية و بين موانع الدين. وأذكر شابا قد أختل توازنه العقلي بسبب شعوره بالذنب بسبب عدم غسله جسمه خلال الأربعة و العشرين ساعة من إحتلامه الجنسي وكان يعتبر نفسه رجساً، غير لائق بالحياة.

## التربية والثقافة العامة.

التربية وسيلة ديناميكية متطورة لنقل حضارة جيل الى جيل آخر. تميزت التربية في المجتمع الكردي عموما بقوالب ثابتة جاهزة، يقوم بها الاهل وممثلي المدارس والهيئات والقدوات (بالأخص رجال الدين)، وعن طريق الضغط والأكراه بدلاً من الفهم والتعليم المعتمد على المحاكاة والتلقين.

في التلقين ينقل قيم المجتمع وعاداته الثابتة في مجرى التعامل مع المحيط الى صميم التركيب الذهني للفرد و التي تتحول بدورها الى نمط سلوكي، كثيراً ما يجهل الفرد دوافعها أو معانيها، وهي خاصية يقتضيه نمط الفكر القائم عليه وهو الدين. ان الضغط الذي يعانيه الطفل في كل لحظة من لحظات حياته، ماهو الا ضغط البيئة الإجتماعية التي تحاول أن تطبعه بطابعها الخاص، يقول الأستاذ (قيس النوري) ان (الناس يترعرعون على معايير مجتمعاتهم تدريجياً منذ طفولتهم المبكرة ويصل تعودهم على هذه المعايير درجة تصبح معها أساساً يعتمد عليه تكامل شخصياتهم.

"١٧:ص١٦٣"

التربية في المجتمع الكردي تركز اشد ما تركز على الواقع الخارجي المحيط بالفرد اكثر من الواقع الداخلي، المتمثلة في المشاعر والاحاسيس والرغبات. والفاعل الإجتماعي يحركه تحقيق الأفضل وهو يتحرك في اطار من الاكراهات المحددة بواسطة الآثار المجتمعية وبنية الوضع. "٧: ص٤٢٤".

والثقافة اذا كانت تعني تحديداً نظام القيم الأساسي للمجتمع او منظومة القيم الأساسية للمجتمع فأن البناء القيمي الديني السائد في اوساط الجماهير الكردية هي المنظار الثقافي للفرد الكردي في تقييمه ومواقفه الفكرية تجاه الظواهر والاحداث المحيطة، اي انها الإطار الثقافي العام لمجموع الشعب في العشرات من السنوات الأخيرة، تواجدت على الساحة الثقافية الكردية ثقافات اجنبية والتي غدت منطلقات فردية و أخرى جماهيرية، وقفت ضد الثقافة التقليدية، ولكنها لم تتمكن من توسيع قاعدتها الجماهيرية في ظل من غياب القاعدة المادية والتنظيمية، وكانت السلطة الفاشية في بغداد، العائق في انبثاق الثقافة القومية، كما عاش الشعب الكردي محروماً من تداول تأريخه الثوري، ولذا

عاش طوال العشرات من السنين مغترباً عن واقعه في وتابعاً في مناهجه التربوية و الفكرية.

أن القيم والمعاني تعبر عن الظروف والاوضاع القائمة في الحياة الاقتصادية والإجتماعية والسياسية والحضارية للإنسان، وتتغير مع تغير وتطور تلك الأوضاع، إلا أن الشخصية الكردية لم تشهد مثل تلك التغيرات في ظل من السيطرة الاستعمارية الكلاسيكية.

## الذات

إن مأزق انساننا الكردي في المجتمع، هو مأزق الذات، انها الجانب المظلم والمضمحل وسط نظم وقواعد محددة، والواجبات والقيم المعينة.

عامةً سادت روح القطيع. والنظام المعنوي في فصله بين البعد المعنوي (القيم – المثل – المعايير) وبين البعد الطبيعي (الميول – الغرائز – والحاجات الاخرى)، فأنها قد سلبت الفرد اساساً ذاته كفاعل لتجعل منه اداة مسيرة و محكومة. وقد سعت السلطة البعثية طوال سنوات حكمها الى تذويب الذات الكردية في الكل التابع لها وحرمانها بكل الوسائل من التفكير الذاتي المستقل.

بإختصار: مسخ البناء القيمي / الديني، المفروض طوال قرون الذات الكردية، وسعت السلطات الأجنبية الى سد كل القنوات من شأنها الخروج من هذا الأطار، لذا بقيت الشخصية الكردية مغتربة عن واقعها.

## البناء القيمي / الديني
### وعوامل التناقض في الشخصية الكردية

القيم تعد اصلاً بعداً اجتماعياً لا شخصيا. عندما يختار الفرد أو يتمسك بقيمة معينة، لا يعد اصلاً اختياراً او تمسكاً قائماً على رغبات ذاتية بقدر كونها رغبة اجتماعية يستحسنها ويكافىء عليها المجتمع.

تعد القيم قمة التطور الذهني الإنساني المجرد، تمكن الإنسان من ان يسمو بنفسه على الطبيعة الحيوانية وعلى الصدفة والقدر من خلال التلازم بين العقل والعمل والقيم والغاية، جعلت من واقع الحياة الإنسانية اكثر إنتظاماً وسيطرة على واقع حياته، وهي ظهرت بفعل متطلبات الوضع البشري القائم وضروريات المجتمع البشري. ومع التحديات المحيطة بالإنسان، كانت القيم تتعقد وتتغير بما يكفل إعادة التوازن والاستقرار لهذا الإنسان.

اننا لايمكن أن نفصل الإنسان عن الظروف المحيطة به، والتي من خلالها يولد وينمو ويتطور ويفكر، والوعي القيمي تولد خلال تلك الظروف. ان (من الضروري أن نفهم التجربة الإنسانية في مختلف

درجاتها على إنها تجربة قيمية. فالقيمة هذه او تلك تلازم فعلنا وتمنحنا الواقع وتثبت معناه في نظرنا).

ولما كان الإنسان كما يقول (بيخوفسكي) (لايمكن ان يتحرر من قيود الجماعة، إلا إذا تجرد من انسانيته). فأن تطبيع المجتمع لشخصية اعضائه بقيمه ومواقفه، حالة محتومة لا فرار منها.

ان التأريخ البشرى لم يصل الى مستواه الحالي من التقدم، الا بفعل التغيير الحاصل في بنيته الفكرية وبشكل مستمر، وبالتالي في نمط قيمه السائدة. اليابان على سبيل المثال لم يكن من الممكن ان تتقدم لولا إستعابها لقيم المجتمعات المتقدمة، و في ظل من غياب مايمنع التغيير والتبدل والسعي نحو الأحسن. وكذا بالنسبة لاوروبيي القرن التاسع عشر، فأن تفوقهم الثقافي كان بارزا واساسيا.

اذا كانت القيم كمتلازم انساني لايمكن الإستغناء عنها، آحرى بها ان تتغير وتتبدل وفق الأحتياجات والظروف السائدة. ان البناء القيمي المطروح في حياتنا المعاصرة ومنذ عدة قرون، لاتخدم قطعا مساعينا في عصرنة الإنسان الكردي ولحاقه بركب الحضارة المتقدمة.

## مــــاهي المؤشــــرات الرئيـــسية لهــــذه الشخصية؟

اولاً: البناء القيمي لايزال يشكل ثقلاً كبيراً على الواقع الفكري للإنسان الكردي، وهي العاطفة الأشد عمقاً وأبعد غوراً في واقع الجماهير الكردية عامة.

القاعدة الجماهيرية لاتزال تعيش مرحلة ما قبل العلميـة، وما تعنيه تلك المرحلة من الثبات و التقوقع و محدودية الافق والنظر الى الحقائق نظرة ازلية/ غيبية.

ثانياً: عدم الاستفادة التامة من تجارب الماضي والمعاناة والتبعية وعوامل التفكك.

ثالثاً: الفرد الكردي مغترب عن واقعه القومي والتأريخي و ذاته كإنسان كردي، بقدر تركيزه وإهتمامه بعالم فكري مجرد غيبي، فانه بعيد عن التزاماتـــه الفرديـــة والقوميـــة وتحديـــد مواقفـــه الشخصية المستقلة تجاه المحيط المتغير. ولقد كانت للسطات المسيطرة على كردستان، دورها الكبير في كبت النوازع الشخصية في الاستقلال، وبث الرعب والخوف فيها، وشلها عن اظهار المشاعر الذاتية الحقيقية.

رابعــاً: لايــزال الــولاء الــديني اقــوى مــن الــولاء القومي والوطني، والسلطات الشوفينية دابت على ترسيخ هذا الـولاء، لـذا بقيـت الـذات الكرديـة تعـاني الإنفـصام بـين امـتلاك ناصـية حريتـه واسـتقلاله الـذاتي والقـومي والـوطني وبـين الخـضوع للـسلطة القمعية وللقطاع السلفي.

ان المـشكلة التأريخيـة والإجتماعيـة للشخـصية الكردية هي في البنـاء القيمـي المتخلـف، هـذا البنـاء الذي تضعه في اطر ثابتة، محددة، ضيقة التفكير في الوقت ذاته تتطلب منه الحياة المعاصرة مستويات من التفكر المجرد الخلاق الدايناميكي.

ان الركـون الى الحقـائق، الـساكنة، والـشمولية يعطـي الإنـسان القـدري راحـة، والإنـسان القـدري يرغـب دائمـاً في الإحتفـاظ بـصورة واحـدة وجامـدة لجميـع الأشـياء والظـواهر القائمـة. وهـذا يعـني الجمود والتحجر و الرجعية. ان قطاعاً كبيراً يخضع الى مثل هـذه النظـرة، ومثـل هـذه القيـم، هـي موضـع إستلاب وتخلف لطاقات الإنسان الكردي.

اذا كان في الدول المتقدمة للفرد قيمه واهتماماته واحكامه وسلوكه وطريقته في التفكير، طبقاً للمركز

الـذي يحتلـه في الهيئـة الإجتماعيـة، فـأن الفـرد في مجتمعنا لا يتحرك الا وفق الإطار القيمي العام.

بعـض الدراسـات قـسمت التطـور الحاصـل في الشخصية وفقاً لتطور الأنظمة الكلاسيكية/ النظام المـشاعي والعبـودي والأقطـاعي والرأسمـالي والإشـتراكي، بإعتبـار أن لكـل مرحلـة مـن هـذه المراحـل شخـصيتها وقيمهـا، وبإعتبـار ان لكـل مرحلـة مـن هـذه المراحـل شخـصيتها وقيمهـا و بأعتبار كل مرحلة او نقلة حضارية كانت ثورة او تغير جذري في واقع الشخصية ومتطلباتها الخاصة والعامة. الا انـه مـن الملاحظ ان الشخصية الكردية سارت على وتيرة واحدة طوال قرون عديـدة، ضـمن إطـار قيمـي واحـد، والـذي كـان أرضـية ثابتـة لتلـك الأنظمة.

ان الـــذين يـــرون في التقـــدم الاقتـــصادي والتكنلوجي، الشرط المسبق لتطور الشخصية، هـم مخطئـون دون ان يـضعوا منهجـاً تربويـاً وثقافيـاً جديـداً وشـاملاً، ويـدينوا الـنمط القيمـي الـسائد في ذهنية الإنسان الكردي.

أن الـشرط المـسبق لتطـور الإنـسان الكـردي، هـو في اعـادة النظـر في المفـاهيم والقـيم الـسابقة

والموروثة، بالأخص تلك التي تبخس من قيمة الإنسان كحامل للقيمة.

كان لدفاع الشخصية الكردية في مراحل تأريخها الطويل عن القيم الخارجية، والمعلقة بالدين والشرف والقبيلة، اكثر مما كان يدافع عن الإنسان والمجتمع والتأريخ القومي.

القيم هي وسائل صنعها الإنسان كأي وسيلة اخرى، الهدف منها هي سعادته... ولكنها غدت غاية في ذاتها. هكذا سلبت الإنسان قدرته على التغير.

ان السعي لاصلاح شوؤن الإنسان الكردي وعصرنة ذاته وخلق إنسان جديد، لايمكن ان يحالفه النجاح بعيدا عن إجراءات التغيير للبناء النظري الفكري القيمي لهذا الإنسان. ولعل وضعية المراة في تدني ثقافتها وضيق مشاركتها الحياتية وغبنها من قبل زوجها وابنها والأنغراسات التربوية المعوجة منذ الطفولة، ابدتها اكثر محافظة في جملة المؤشرات السلبية السابقة.

نحن وبعد انتفاضة آذار ١٩٩١ وتنامي والوعي القومي الجامح الذي اجتاح كردستان، ونسف المؤسسات الشوفينية في كردستان يتطلب منا في

العالم المتغير بسرعة، مواجهة واقعنا الذي غدت فيه طرائقنـــا وعاداتنـــا الحاضـــرة و اطـــر مراجعنـــا ومفاهيما بالية.

# المجتمع والبناء السياسي
# للشخصية الكردية

شـرقية المجتمـع الكـردي وطغيـان الـسمات الآسـيوية للأنتـاج طـوال قـرون، تكنلوجيـا زراعيـة متخلفة، وتوافر المياه والأراضي الزراعية، والثبـات النـسبي للبنـاء الفـوقي بـالأخص بعـد عـام (٦٤٠م) حيث طبع البناء القيمي/الديني للشخصية الكرديـة بوجـه عـام: بـ(الخرافـة)، تـأثير القـوى الماورائيـة، القناعة وسيطرة القيم المطلقة والأجنبية على القيم النـسبية والقوميـة او بمعنـاً آخـر طغيـان الإحـساس الديني على الإحساس القومي. كل هـذا مـن ناحيـة، ومن ناحية أخرى وعلى صعيد البعد السايكولوجي لهذه الذات والمتسمة بالبساطة و التـضحية والكـرم والوضوح وطيبة القلب واحترام الغير لدرجـة نكـران الـذات، منعـت الشخـصية الكرديـة مـن التطـور والإزدهـار. وكـان للمتـسلطين المحلـيين والأجانـب دورهم في ترسيخ الأبعـاد السلبية لهـذه الشخـصية. فكان الرضوخ والقمع والتسلط والمسايرة والإنقيـاد على مدار التأريخ.

لم تكن ردود الفعل بسيطة لهذه الشخـصية كلمـا شـعرت بغبنهـا ومآسـاتها، ومنـذ ان دنـست من قبـل

الغـزاة أرضـها، لم يفـارق الـسلاح كتـف الكـردي في الدفاع عن حريتـه، ولم يكونـوا يوماً معتـدين، يقـول عـنهم (جـرجيس جبرائيـل): (لم يكونـوا غـزاة يومـاً فكـانوا مغـرورين بفـضل خـيرات بلادهـم و ثمارهـا ومواردهـا بـل بموسـيقاهم وغنـائهم الغزيـر أو قصصهم الحبيبة). "٥: ص١٤٦".

وكان لهم دور لايستهان به في دعم حركات التحرر في الـدول الأسـلامية ضـد التواجـد الإسـتعمارى و نفوذها في المنطقة. فقد(ساهم الاكـراد بقـدر كـبير في حركة التحرر القومية لشعوب تركيا وايـران والـدول العربيـة ضـد الإسـتعمار، كمـا سـاهموا أيـضاً في محاربـة الإمبراليـة والرجعيـة في منطقـة الـشرق الأوسط) "١٢:ص٢١٩"

في العـراق بعـد انهيـار الملكيـة عـام ١٩٥٨، سـاند الكـرد الثـورة واستبـشروا بهـا، إلا انهـم لم يحـصدوا سـوى الـدمار والخـراب في كردسـتان، هكـذا كـان جزائهم دائما فيمن وثقوا بهم وساندهم في الأنظمة المحيطـة والمـستعمرة لكردسـتان. (لجـأة حكومـة قاسم في معاداتها للشعب الكردي الى نفس الأساليب الـتي استخدمها النظـام الملكـي بمـساعدة الإنكليـز للقضـاء علـى انتفاضـة الاكـراد الـتي بـدأت مـن عـام

١٩٤٣ – ١٩٤٥، وعلـى غـرار (نـوري سـعيد) فقـد إعتمد قاسم بشكل اساس على النـزاع بين القبائـل) "١١: ص٧٦"

ضـرب قاسـم الاكـراد، وجـاء البعـث في ١٩٦٣ ولم يكتفـوا بالعمليـات العـسكرية النظاميـة، بـل بحـرق وقتل واغتـصاب وتـشريد الآهـالى فعليـاً بيتـاً بيتـاً في المـدن الكرديـة. وجـاء بعـدهم عبدالـسلام عـارف، ليكمـل قتـل وابـادة الـشعب الكـردي، وكـان يقـول بـالحرف الواحـد: (نحـن لانعطـي اي شـبر مـن ارض وطننـــا، ســـيبقى الـــوطن العربـــي للعـــرب). "١١: ص١٣٠"

واستمر الإضطهاد العربي للكرد على مدار تـولي السلطات في بغداد وبدعم عربـي واسـع ودول اخـرى ذات المـــصالح في المنطقـــة الكرديـــة. وأصـــلت السلطات الفاشية عملية تدميرها وقتلها للشعب بعد ١٩٦٨، وصـلت ذروتهـا عـام ١٩٧٥ وبـشكل بطـيء وتدريجي وفق سياسة مدروسة و متعمدة، بعد ذلك التأريخ وحتى زمن تـدميرها للكيـان الكردي بتـدمير القـرى والـتهجير القـسري واسـتخدام الأسـلحة ذات الـدمار الـشامل والمحرمـة دوليـا، كـل ذلـك في إطـار مسلـسل كامـل لمـسح الشخـصية الكرديـة، وإنهـاء

مايسمى في عرفهم الفاشي بالمشكلة الكردية في الأرض العربية. أن العرب لم يحترموا شعور الكرد واحاسيسهم في يوم من الأيام، ولم يكنوا لهم وداً ولا حباً.

بخلاف ما يدعون، فقد جعلوا من الدعوة الى الدين الإسلامي ستاراً للتطاول على حقوق الشعب الكردي منذ بداية الفتوحات). "٤: ص٣٦" وكما عجزت وسائلهم الدموية في ايقاف نضالات التحرر القومية لهذا الشعب لجأوا الى شعارات براقة وعاطفية لإمتصاص النقمة، منها الاخوة العربية الكردية أو النضال العربي الكردي أو تاريخ العربي الكردي المشترك أو المواطنة المتقدمة أو الوطن الجغرافي الواحد أو الوحدة الإجتماعية المتخطية لمفهوم الاقلية والاكثرية، اي أخوة هذه التي لم يحصد منها الكرد سوى الدمار والقتل!

كذلك حالت السيطرة الاجنبية في الحاضر البعيد والقريب، دون تمتع الأكراد بحقهم في تقرير المصير وانشاء دولتهم الخاصة، وسببت لهم التأخر الإقتصادي والثقافي والسياسي و الوان من الحرمان والمآسي. "٢٠: ص٢١"

في العقود الثلاثة الأخيرة فقد استهجن بالاكراد، ونبذوا من قبل البريطانيين والروس والأميركان، وقد سمح الاكراد لغيرهم ان يلعبوا بهم كبيادق ضعيفة في الشطرنج، في مباريات شطرنج الشرق الاوسط الكبيرة. وكان لهم الأمل في ذلك ان يحصلوا على استقلالهم كأكراد، وكانت كل قوة توعدهم بالحرية عند ما تنتهي مهمتها. "٣٣: ص٧١"

ومع التقسيم الدولي لكردستان، تجزأت الشخصية الكردية الكلية، في كل جزء تعرضت الشخصية لسياسة القمع وإنصهار معينة. التجزئة التي ترسخت، وتعرض كل جزء الى سياسة الدولة المستعمرة الهادفة الى إمحاء الشعب الكردستاني، عمقت التمزق القومي والوطني، فألى جانب التمزق العشائري والمذهبي والديني وتصاعدها تحت السيطرة الرأسمالية الاستعمارية، مورست الصهر والامحاء عن طريق اسلوب الإرهاب الابيض. "٣٤: ص٣٦"

خشيت الحكومات المستغلة لكردستان دائماً مطالب الشعب الكردي، سنت المواثيق فيما بينها ونسقت جهودها الدبلوماسية والحربية للقضاء على تلك المطالب وتحقيقها، مثل حقها في حصة عادلة

من ارباح النفط المستخرج من كردستان، او نيل التعليم والشهادات، أو التحدث بلغتهم بحرية، او ممارسة حقوقهم القومية). "٣٣: ص٢١"

يمكن تقسيم مراحل تطور الشخصية الكردية الى ثلاث مراحل بارزة، لكل مرحلة آثارها في نمط الشخصية و نقلتها النوعية من والى مرحلة جديدة، الا انها لم تكن بنفس المستوى من التغيير.

المرحلة الأولى/ مرحلة ما قبل الميلاد، حيث إتصاف الشخصية بالبساطة والطبيعية في حياتها العملية وقيمها وعلاقاتها الإجتماعية، وكانت الديانة الزردشتية معبرة عن هذه المرحلة، والتي اكدت في ابرز تعاليمها على: الكلام الحسن، والتفكير الحسن، والعمل الحسن.

المرحلة الثانية/ تمتد من بداية الميلاد وحتى اوائل القرن العشرين، حيث النقلة الجوهرية والجذرية في بناء هذه الشخصية، ولم تعد ملك نفسها ولطبيعتها السابقة من بناءها القيمي، وباتت غريبة ومغتربة عن واقعها.

اما المرحلة الثالثة/ فهي مرحلة الوعي الذاتي والقومي لهذه الشخصية، بعد قرون من الضلال والتبعية والانصهار، رغم محدودية هذا التغيير، الا

ان اثارهـا كانـت كـبيرة في التطـور النـوعي لهـذه الشخـصية ومطالبهـا في اعـادة الاعتبـار لـذاتها المسحوقة.

لعب الزعمـاء الـدينيون الـدور الأسـاس في قيـادة وتـصعيد الحركـات الكرديـة الاولى. يـشير (س.ع. شمـزيني) الى الاسـباب البـارزة في اخفـاق الحركـات تلك في تحقيـق مطالبهـا، قبل وبعـد الحـرب العالميـة الاولى بكونها:

١. انفراد شخصيات فردية بالحركات الكردية القوميـة التحررية، لـذلك كانـت تنهـار بمجـرد فقدان هـؤلاء الزعمـاء. كمـا ان الخلافـات الانانيـة القبليـة والعـشائرية و روح الانتقـام والاخـذ بالثـأر، اضـعف كثيراً القوى الشعبية الكردية، كما لعبت دورا سلبياً في توحيد جميع الاكراد، تحت رايـة النـضال القـومي الموحد.

٢. لم تقـدر الاحـزاب والمنظمـات الكرديـة السياسية، الموقف الدولي والظروف الدولية العامـة حـق قـدرها، كمـا كانـت مخدوعـة بـسياسات الـدول والحكومـات المـسيطرة علـى كردسـتان. بعـد بعـض القبائـل والقـوى الكرديـة عـن بعـض تطلعـات الحكومـات الاجنبيـة، قـد مـنح الاكـراد الانفـراد

بحياتهم السياسية والاقتصادية وعلى شكل امارات صغيرة وكبيرة متعاقبة مثل/ امارة اردلان و بابان وسوران و بادينان و بوتان وحكارية. الا ان بسط النفوذ العثماني على الدول الاسلامية، قضى على تلك الأمارات وشجع قيام اقطاعيات كبيرة مرتبطة بها.

في عام ١٨٩٨ حدث تطور جديد في تقدم الوعي القومي الكردي والداعية الى الاستقلال، ومن خلال اول جريدة بأسم كردستان، اصدرها (البدرخانيون) في القاهرة. وفي عام ١٩٠٨ تكونت جمعية التعالي والترقي الكردية، و عام ١٩١٠ اسس الطلبة الاكراد جمعية (هيوا – الامل) التي اصدرت مجلة (روژى كورد – يوم الكرد) وكان يحررها المثقفون الاكراد وتأسست جمعيات عدة منها: جمعية العزم و القوى وجمعية نشر المعارف الكردية و جمعية إستقلال الكرد وجمعية الشعب الكردي. "٤:ص٣٢" و"انظر:٣١"

وكان ابرز قادة القوميين وقتذاك (الشيخ عبيدالله نهري) ووجه رسالة الى السفير الانكليزي، جاء فيها.

ان الكرد امة متميزة عن الترك والفرس ولهم حق الإستقلال."٤:ص٣٢"

وكان يمكن للاكراد أن يكسبوا الإستقلال بعد معاهدة (سيفر)، الا انه كما يقول (وليم أيغلتن) (ان المعاهدة كانت وثيقة ميتة ساعة التوقيع عليها، لان يد (مصطفى كمال) كتبت التأريخ بصورة تختلف عما رسمته. " ٢٧: ص٣١".

ومنذ ذلك التأريخ بقيت القضية الكردية بين مد وجزر، تارة تخفق بسبب عوامل داخلية بالدرجة الاولى، واخرى بسبب المؤثرات الخارجية المتمثلة بالدول المستعمرة لكردستان.

اذا جاز لَنا تقسيم الحركة الكردية ضمن اجزائها، فأن الحركة الكردية في كردستان الجنوبية، كانت اكثر فاعلية وحدةً من باقي الأجزاء ضد الأنظمة الفاشية التي حكمت كردستان، بالاخص بعد الانقلاب الجمهوري أو الحركة الجمهورية التي قادها (عبد الكريم القاسم). رحب الاكراد واستبشروا بالنظام الجديد، وقد ورد في الدستور المؤقت بأن العرب والاكراد امتين لهما نفس الحقوق في العراق. عندما عاد الزعيم الكردي ملا مصطفى البرزاني من الاتحاد السوفيتي، قرر عقد مؤتمر

كردي عام في بغداد يحضره مندوبون من اكراد العراق وايران وتركيا، مهتمها وضع برنامج لتحقيق الاستقلال الذاتي ثم الاستقلال التام لكل الاكراد، الا ان هذا الهدف لم يكن يتمشى مع اهداف الشيوعيين العراقيين، كذلك لم يرحب (عبدالكريم قاسم) بمشروع البرزاني. أن (عبدالكريم قاسم) لم يكن ليدعم الاكراد لولا الضغط الكبير الذي كانوا يشكلونه على السياسة العراقية، كذلك التهديدات التي كان يتعرض لها في الداخل، كما في حركة الضباط (عبدالوهاب الشواف) في ٨ مارس ١٩٥٩.

في عام ١٩٦١ قدم البرزاني باسم الحزب الديمقراطي الكردستاني عريضة طالب فيها بالاستقلال الذاتي الموسع في نطاق الدولة العراقية على أن ينفق في كردستان قسط كبير من عائد صناعة البترول في منطقة كركوك – موصل. ورفض قاسم الطلب. (انظر:٣٠)، واعلن حربه على الاكراد. في الحادي عشر من شهر ايلول ١٩٦١ بدا الجيش العراقي بهجومه على كردستان شارك فيه الطيران والدبابات والمدافع، محطمة كل شيء في طريقها. واشترك ثلثا الجيش العراقي في تلك المعارك. (١١: ص ٧٩)

وباء الهجوم بالفشل بل وزادت من قوة الحركة الكردية عدديا و تسليحيا.

يعد عام ١٩٥٨، عام خروج الشخصية الكردية ضمن قاعدتها الشعبية من نطاق التعددية القبائلية والعشائرية الى الأنظواء تحت زعامة أو قيادة موحدة، تمثلت في شخص (الملا مصطفى البرزاني). ولم يكن هينا الخروج من نطاق القطاعات العشائرية المتعددة في كردستان، ان الاقطاعية اضافة الى استملاكها للارض والمواشي، فأنها ايضا كانت تستملك الفلاح، وتفرض عليه اجوراً، حتى على المكان الذي يرعى فيه مواشيه في الاماكن الصالحة للزراعة. ( انظر: ١٩)

بعد إنقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، حاول الاكراد ان يتوصلوا الى الحل السلمي للقضية الكردية مع السلطة الجديدة، و أرسلوا مطالبهم، واحتوت المذكرة المرسلة على (تحقيق الشروط التمهيدية التالية فوراً: الاعتراف بالحقوق القومية للشعب الكردي وبحقه في تقرير المصير، ويجب ان يدون هذا في الدستور المؤقت ومن ثم في الدستور الدائم للحكومة العراقية. اعلان العفو العام لكل السجناء الذين اعتقلوا لعلاقتهم مع الحركة الوطنية الكردية،

واعادة جميع الذين طردوا من المؤسسات الحكومية الى مناصبهم، رفع الحصار الاقتصادي عن كردستان، سحب القوات الحكومية من كردستان لخلق جو من التفاهم والثقة... كما اشارت المذكرة الى ضرورة تحديد جغرافية كردستان وتأسيس المجلس التشريعى والتنفيذي القومي الكردي، كما احتوت المذكرة المطالب القانونية للشعب الكردى في مجال الاقتصاد والثقافة. و في الوقت الذي احتوت المذكرة ايضاً على تأسيس الجيش الوطني الكردي وفتح المدارس العسكرية في منطقة كردستان، فأن المذكرة اشارت الى تولي الحكومة المركزية السياسة الخارجية والعلاقات الاقتصادية الخارجية للبلاد. (١٢: ص ٢٧٦ – ٢٧٧) (١١: ص ٩٠ – ٩٣)

وكان رد الحكومة البعثية ردا دمويا، في ٩ حزيران ١٩٦٣ بدأ اطلاق النار في جميع مدن كردستان، اعتقل العديد من المواطنين، ونهبت المحلات الكردية، وذبح العديد من المدنيين، واستخدم البعث انواع الاسلحة الفتاكة: نابالم ، لتفجير الالي، دبابات، المدافع الثقيلة..الخ. يصف شاهد عيان الحرب هذه، هو فرنسي (جان برادي)

( في التاسع من شهر حزيران عام ١٩٦٣ بدات السيارات المزودة بمكبرات الصوت تسير في شوارع السليمانية، وتعلن سيطلق النار على أي مواطن يخرج من بيته، ثم اطلقوا النار من الرشاشات، و احتلت القوات الحكومية المدينة و طوقتها منذ الصباح الباكر ... بدات قوات الحكومة بتفتيش البيوت وتحطيم ما فيها، وعاملوا السكان بقساوة، ضربوا الاولاد والنساء واعتقل الرجال القادرين على حمل السلاح، واغتصبوا النساء الشابات على مراى من ازواجهن المربوطين، اعتقلوا (٥ الاف) شخص.

وازدادت المراقبة في ثكنة الحامية، حتى ان السليمانية اصبحت وكانها مسلخ لمذابح دموية، ان الجنود التابعين للحكومة وضعوا الجثث بالبلدوزرات حملوها والقو بها في حفرة تبعد عن مركز المدينة عدة كيلومترات، قتلوا (٢٧٦) شخصا و كذلك قتلوا من بين المعتقلين (٨٥) شخصا دون محاكمة، وكان الإرهاب والقمع نفسها في القرى القريبة من السليمانية. استيقظ الفلاحون في قرية (اوراجبان) على بيوت تحترق، ومن استطاع الهرب،

اطلق عليه النار من القوات الحكومية.) (١١: ص١١٠)

الحملة تلك في إبادة الشعب الكردي، لم تكن فقط من قبل الجيوش البعثية الغازية، بل وبمساعدة عملية من قبل كل من تركيا وايران وسوريا وباكستان، وهم الاعضاء في حلف السنتو. ومرة اخرى خرجت الحركة الكردية من المعركة قوية اكثر، لدرجة اقلقت الدول المحيطة والدول الكبرى ذات المصالح في المنطقة.

ولم يكن الحال احسن في زمن حكومة( عبدالسلام عارف)، بعد انهيار حكم البعثيين. اعلن (عبدالسلام) دستوراً جديداً في البلاد، ورغبة في الاعتراف بحقوق الشعب الكردي.

واستجاب له (البرزاني) موضحا له بأنه رجل السلام، وصرح قائلا: (ان موقفنا واضح نحن نعتبره عادلا، فنحن لانريد الحرب ولن نبدأها، ولكننا سنواصل تدعيم حكمنا الذاتي وتوطيد ادارتنا، واذا هوجمنا، فأننا سندافع عن انفسنا بنفس التصميم الذي دافعنا به عندما هاجمنا قاسم والبعثيون، ونحن لانشك ابداً نتيجة نضالنا من اجل الحرية. (١٢:ص ٢٨٣)

لكن الدستور الذي اعلن عنه (عبدالسلام كان خطوة الى الوراء، بالمقارنة مع دستور عام ١٩٥٨، ومع تاكيده على ان العراق جزء من الاتحاد الاشتراكي العربي، المنظمة السياسية الوحيدة في البلاد، ابعد عملياً من الحياة السياسية الشعب الكردي، واستؤنف القتال في اوائل عام ١٩٦٦، واستخدمت الحكومة كافة انواع الاسلحة لتدمير الحركة الكردية، ولم تتوانى عن استخدام ابشع الطرق اللاانسانية في ذلك ومنها تسميم منابع المياه والانهار واطلاق فئران مسممة في المنطقة الكردية. (٢٩: ص ٥٩). ومنيت هي الاخرى بالفشل. في تاريخ ٢٩ حزيران ١٩٦٦ اعلن رئيس الحكومة العراقية عن طريق التلفزيون وقف اطلاق النار والاعتراف بالحقوق القومية للأكراد في نطاق اللامركزية، ومرة اخرى ربح الاكراد الحرب. (٢٤: ص٢٦٧).

. الا ان اتفاقية ٢٩ حزيران ١٩٦٦ بقى حبراً على الورق. وقد حاولت الأوساط في بغداد تزيفه، وان تبدأ الحرب من جديد. يقول (عبدالرحمن قاسملو) عن هذه الفترة:

(ان ظروف النضال الداخلية في كردستان أنسب مما كانت عليه في أي وقت آخر. فنتيجة للنضال الطويل، وللهزائم والصعوبات، توطدت وحدة لاسابق لها للشعب الكردي وهي تشكل ضماناً ثابتاً للنصر النهائي(١٢: ص ٢٩٤).

في ربيع ١٩٦٩ بدات حرب البعث الثانية، ولم تقل عن الاولى دموية وشراسة، ولم يكتفوا بقصف وتدمير المدن والقرى وتعذيب واهانة المواطن الكردي، فما يذكر من احداث حرب البعث هذه، انه في آب ١٩٦٩ في قرية (كوكان) في منطقة (شيخان) بقرت القوات العراقية بطون (٦٧) إمرأة كانوا مختبئين في مغارة، وفي (سورايا) التي تبعد ثلاث ساعات سيرا على الاقدام من (زاخو)، جمع ضابط عراقي اهالي القرية في حديقة (ظن السكان بأنه سيخطب فيهم) لكنه صوب عليهم فجأة نيران مدفعه الرشاش وحصدهم، النتيجة كانت (٥٣) قتيلاً وعدد غير محدود من الجرحى. (٢٤: ص٢٧٦)

وقد قدم البرزاني في اكتوبر ١٩٦٩ مذكرة الى هيئة الامم المتحدة، شكا فيها من (الحرب العنصرية) التي يشنها حكام العراق ضد الشعب الكردي، واتهم الحكام البعثيين لمحاولة ابادة

الشعب الكردي ومحوه محواً تاماً، كشعب يسعى الى الاحتفاظ بلغته وثقافته وقيمه القومية. (انظر: ٣١)

المقاومة العنيفة والدقيقة التي ابداها الشعب الكردي، ارغم السلطة البعثية على طلب المفاوضات، والتي نتج عنها بيان ١١ آذار ١٩٧٠ الذي اشار الى ضمن ما اشار الى تعديل الدستور العراقي المؤقت بحيث ينص على ان الشعب العراقي يتكون من قوميتين رئيستين هما القوميتان العربية والكردية، وما يعنيه ذلك من تكافوء في جميع الحقوق المشروعة للشعبين بالتساوي. الا انه وكما يقول (كريس كوتشيرا): كان في ١١ آذار خطأ اساسي يتمثل في عدم تطبيق هذا الاتفاق فورا. (٢٤: ص٢٨١) ما رافق بيان ١١ آذار من السماح بالصحف الكردية بالصدور و انشاء جامعة السليمانية، وغيرها من إجراءات فنية ضيقة لم يكن الغرض منها سوى كسب الوقت والتقاط الانفاس، في ظل من تخطيط دولي جديد سعى البعث الى تنفيذه لعزل الحركة الكردية والقضاء عليها. ان البعث كان قد اعلن موقفه المبدئي من القضية الكردية منذ تأسيسه، حيث اعتبرت الاكراد اقلية تعيش في الوطن العربي، وفي عام ١٩٦٨ ومن خلال

مكتب شؤون الشمال اشار الشوفينيون العرب بأن حكومة البعث لا تعترف بكردستان، بل تعتبره ما تسميه بـ الشمال العزيز جزء من وطنها العربي، وبدأ البعث حربه الثالثة ضد الاكراد في آذار ١٩٧٤ والتي مهدت لها متغيرات عديدة منها:- زيادة النفوذ البعثي في السلطة والمتمثل بجناح احمد حسن البكر وصدام حسين بعد تغلبهما على جماعة (ناظم كزار) وعبدالخالق السامرائي، وزيادة واردات النفط مما مكن البعثيين من تقوية نفوذهم العسكري والاداري، هذا الى جانب الدعم الذي نالوه من الدول الكبرى ومنها الاتحاد السوفيتي، وفي هذا المجال، ولكون الاحزاب الشيوعية في العالم الثالث، كانت ذيلية تابعة للسوفييت، ومنها الحزب الشيوعي العراقي، فأنها وقفت مع البعثيين ضد الحركة الكردية. وبعد حين جاءت اتفاقية الجزائر الشعرة التي قصمت ظهر البعير، كما يقول المثل، لتضع الحد النهائي للحركة الكردية، لذلك الزمن المحدد من شهر آذار ١٩٧٥، ولم يبق طريقاً لم يسلكه (البرزاني) لانقاذ الحركة الكردية من الابادة والدمار، سواء مع ايران او اميركا او فرنسا، ولكن دون

جدوى، فالكفة لم تكن متعادلة بالنسبة للمصالح الغربية.

محمد حسنين هيكل، الكاتب والمفكر المصري حمله البرزاني رسالة اثناء جلوسهما معاً قال فيها:

(ان دوري قد انتهى، لكن من المستحيل وضع نهاية للوجود الكردي وكينونته، وان زعماء جدد سيخرجون من قلب الشعب الكردي، ٢٤: ص٣٢٤

ان انهيار ثورة ايلول في آذار ١٩٧٥، لا يمكن تحميل نتيجتها لشخص او اثنين، انما لعبت عوامل مشتركة دورها، يمكن ايجازها بالنقاط التالية:

- العامل الخارجي، ونعني به عدم ملائمة الظروف الدولية في ظل توازن إستراتيجي بين كتلتين، وفي ظل دعم وإسناد الأنظمة الدكتاتورية في العالم الثالث من قبل الدول الرأسمالية.
- تجزءت الحركة الكردية، والتي مكنت الانظمة الإستعمارية المسيطرة على كردستان من استغلال قواها المحركة، كل جزء ضد الجزء الاخر، او تكاتف سياساتها الاقليمية في ضرب الحركات التحررية الكردية اينما تقوت.
- غياب وسائل الاعلام والاتصال المتطورة.
- عوامل اجتماعية متخلفة.

-بعد عام ١٩٧٥، تحققت نبوءة (البرزاني)، واستمرت الحركة الكردية بقوة، وتشكلت احزاب جديدة، وظهر زعماء جدد سعى كل واحد لملىء الفراغ السياسي و الحربي في عملية النضال الدموي ضد السلطات الشوفينية في بغداد. كان من الطبيعي ان تتعدد الاتجاهات والنظريات في التعامل مع السلطة، وفي وضع للبرامج والاهداف الانية و المستقبلية للحركة الكردية، وذلك انطلاقا من مجموعة انعكاسات داخلية و خارجية لا مفر منها وهي:

١. مدى تقييم وفهم الصمت الدولي تجاه ابادة الاكراد، ودعم الدول الكبرى للدول الاقليمية في سياساتها الشوفينية.

٢. العوامل البنيوية في فشل الحركة البرزانية.

٣. مدى فهم التركيبة الاقتصادية والإجتماعية للمجتمع الكردي.

٤. التطلعات الشخصية والرغبة في الظهور كبديل.

الشخصية الكردية، شخصية ديناميكية متغيرة قادرة على استيعاب المتغيرات المحيطة، كما واثبت التأريخ عندما تأمن باتجاه او حركة تتمسك

بها بقوة، من هنا فانها تمتلك الاستعدادات البينوية لتقبل الحضارة الحديثة ولمواكبة الامم المتقدمة ولكن كل ذلك في حالة توفر الارضية السليمة.

ان التنشئة الإجتماعية في ظل النظام الاستعماري في كردستان مشوهة للشخصية الكردية، صبتها في قوالب جامدة، تابعة، هزيلة، فاقدة الثقة بذاتها، عاطفية، كما ان حرمانها من الاتصال بالعالم الخارجي والتفاعل معها، جعلت منها شخصيات نمطية.

بمقدار إغتراب الشخصية الكردية عن واقعها وشعورها بالغبن والاضطهاد، بمقدار ماكانت تلجأ الى التفكير الخرافي الغيبي والتمسك بالقيم والتقاليد المتخلفة و ترسخ العلاقات القبلية، وهذه بدورها أدت الى حالات من القبول والاذعان لمختلف مشكلات الحياة اليومية.

وفي ظل من غياب المؤسسات التربوية و الثقافية القومية الكردية، والغزو الثقافي الاجنبي والسياسة الاستعمارية في الحيلولة دون نهوض هذا المجتمع علميا، قد شلت الشخصية الكردية وخلفتها عن النهوض بمهامها القومية والإنسانية في التقدم والبناء.

الاستعماريون و مؤيديهم غالبا ما اتهموا الحركات الكردية الوطنية والمثقفين القوميين، بالرجعية أو الصهيونية أو العنصرية أو الامبريالية، لا لشيء الا لانهم طالبوا بحقهم في تكوين دولة لهم وعلى ارضهم.

المجتمع الكردي لم يكن في يوم من الايام ضد الدين، بالأخص الدين الاسلامي الذي دافع عنه ودعمه بخيرة ابنائه و علمائه، كما انه لم يكن يوماً ضد اي نوع من الأخوة الصادقة مع جيرانه العرب والفرس والأتراك. كان دائما شعباً مسالماً، لم يغزوا او يفكر بغزو اي شعب في يوم ما، بل بالعكس تعرض لغزوات والتمييز طوال قرون، واستغلت طيبته واخلاصه.

بعد عام ١٩٨٨، غدت الشخصية الكردية اكثر واقعية في تحركها السياسي، وقد تميزت بالوقائع التالية:

١. الوضوح النظري تجاه القضايا والاحداث المحيطة، بالاخص ما يخص (كيانها القومي).

٢. التعامل المنطقي مع الطروحات النظرية حول المشكلة الكردية، و الأخذ بالدبلوماسية والحنكة السياسية في التعامل الدولي. وهذا ما

وضــع حــداً لمفهــوم (القــوة) كوســيلة وحيــدة في النضال في العصر الحديث.

٣. الخروج من الولاء القبلي الى الولاء القومي والفكري.

٤. ادراك داينيمكية التحرك الدولي والمتمثل في سياسة القوة والمصالح.

## الخلاصة:

ان الشخصية الكردية مدفوعة في الحياة، لا وفق لما يختلج في داخلها من دوافع ورغبات طبيعية، انما وفقا للمواضيع والقيم المفروضة. وفي مسار بين قوة الدفع التي تشكلها النوازع الطبيعية لهذه الشخصية، و وفق الاجواء الجغرافية التي كانت تشكل عامل اطلاق لهذه النوازع، وبين قوة المنع التي شكلها النمط القيمي الدخيل، صاغت شخصيات متوترة، منقادة، نمطية. وفي اجواء من غياب الثورات في حياة المجتمع الكردي وعلى غرار الدول الاوروبية ووقوعها تحت السيطرة الاستعمارية المباشرة، فأن الشخصية الكردية عانت الامرين:

- بقائها ضمن اطار او ابعاد فكرية محددة، و تلك تشكل الاكثرية الساحقة من ابناء المجتمع.
- معاناة التردد والأزدواجية والانتقائية، وتشكل هذه الشرائح المثقفة.
- ان خلق شخصية معاصرة، هي وليدة مسارين:

**اولهمـــا/** انعتـاق الفـرد مـن عوامـل الـسيطرة الخارجيـة، ثـم وضـع المعـايير والقـيم وكـل الأبنيـة الفكرية التي فرضت عليه سابقا، موضع التساءل.

**ثانيهما/** تغيير ابنية المجتمع العتيقة.

ان مـشكلة انـساننا، ليـست بالدرجـة الاسـاس في فقدانـه للقاعـدة التكنلوجيـة مـثلا، او عـدم تـوفر القاعدة الاقتصادية المتطورة، بل في اغترابه الطويـل عـن واقعـه وبعـدم منحـه الفرصـة في تجـاوز امراضـه الذهنيـة الـتي عوقـت مـسيرته وحالـت دون تحقيـق ذاته ومممارسته للحرية.

ان اي تغيير في واقع الحياة السياسية لا يمكـن ان يصيبه النجاح الا بتغيير واقع الحياة الفكرية.

ان القيم السلبية التي ترسبت في اعمـاق الإنـسان الكـردي عبر مئـات الـسنين مـن التخلـف والاسـتعمار والاسـتغلال القـومي و الطبقـي ومـن خـلال تراكمـات ضـيقة متعـسفة مـن التقاليـد و العـادات والاعـراف، لايمكن ان يحل مكانهـا القـيم الايجابيـة، قـيم التغـيير والتطـور، الا مـن خـلال الكفـاح العملـي، وفي اجـواء مستقلة وديمقراطية.

ان بنـاء مجتمـع حـديث ومتطـور، امـر يتطلـب جهـود حثيثـة ومـستمرة قائمـة علـى ادراك الابعـاد

التي اصابت العالم المعاصر، وبالاخص تلك التي اخذت بها دول كانت الى وقت قريب لا تملك سوى ادمغتها كراسمال ثابت.

ان الوعي محكوم بإرادة التغيير، والشخصية الكردية اثبتت على مدار التأريخ انها تملك تلك الارادة. ولكن تبقى تلك الارادة غير متحققة بدون عوامل استمرارها: وهي

العلمانية، ونظام ديموقراطي مستقل.

## المصادر:


١. احمد صادق سعد، سلسلة دراسات في النمط الانتاج الاسيوى، دار الغصون، بيروت، ١٩٨٦

٢. بيخوفيسكي، الفرد والمجتمع، معهد الانماء العربي، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٨٠

٣. بيتر ورسلي، عن العوالم الثلاث ، ترجمة/ صلاح الدين سعد الله، ج١ دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧.

٤. جمال نبز، حول المشكلة الكردية، المانيا الغربية، مطابع الاتحاد القومي لطلبة الكرد في اوربا، ١٩٦٩.

٥. جرجيس جبرائيل هومي، القوميات العراقية، ماضيها وحاضرها، بغداد، مطبعة الارشاد، ١٩٥٩.

٦. جەليلى جەليل، كوردەكانى ئيمبراتوريەتى عوسمانى، وەرگێڕ د. كاوس قەفتان، دەزگاى رۆشنبيرى وبلاوكردنەوەى كوردى بەغداد ١٩٨٧.

٧. ر.و. بودون. ف. بريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع. ترجمة د. سليم حداد، المؤسسة

الجامعية للدراسات والنشر والطبع بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٨٦.

٨. رايت ميلز، الخيال السوسيولوجي، ترجمة د. صالح جواد كاظم، دار الشؤون الثقافية العامة.

٩. ريبر، الاكراد، دمشق، ١٩٦٩.

١٠. سامي خرطبيل. الوجود والقيمة، دار الطليعة بيروت الطبعة الاولى، ١٩٧٦.

١١. ش.ج اشريان. الحركة الوطنية الديمقراطية في كردستان العراق ١٩٦١ – ١٩٦٨. ترجمة ولاتو. بيروت دار الكتب، ١٩٧٢.

١٢. عبدالرحمن قاسملو. كردستان والاكراد. بيروت. ترجمة ثابت منصور. ١٩٦٨.

١٣. علي كمال. الجنس والنفس في الحياة الإنسانية. دار الواسط، لندن، الطبعة الاولى، ١٩٨٥.

١٤. توما بوما. مع الاكراد، ترجمة اواز زەنگنه. مطبعة دار الجاحظ بغداد ١٩٧٥.

١٥. فاضل عبدالواحد د. عامر سليمان، عادات وتقاليد الشعوب القديمة. بغداد ١٩٧٩.

١٦. فوزية دياب. القيم والعادات الإجتماعية. دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٠.

١٧. قيس النوري. الحضارة والشخصية. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. بغداد ١٩٨١.

١٨. قيس النوري، طبيعة المجتمع البشرى. مطبعة الآداب، النجف، ج١، ١٩٧٢.

١٩. منذر الموصلي. عرب واكراد، دار الغصون، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٧٩.

٢٠. ماجد عبد الرضا. القضية القومية الكردية. بغداد، منشورات الطريق الجديد، الطبعة الاولى، ١٩٧٥.

٢١. محمد سعيد فرج، البناء الإجتماعي والشخصية، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠.

٢٢. مصطفى الحجازي. التخلف الإجتماعي، معهد الانماء العربي، الطبعة الاولى، ١٩٧٦.

٢٣. عادل العوا، القيمة الاخلاقية، مطبعة الجامعة، دمشق، ٦٠.

٢٤. كريس كوتشيرا. الحركة القومية الكردية، منشورات فلاماريون، ترجمة عن الفرنسية، باريس.

٢٥. ليفي بروهل. علم اجتماع المعرفة. دار الطليعه بيروت.

٢٦. ليفي بريل. العقلية البدائية، ترجمة دكتور محمد القصاب، مكتبة مصر.

٢٧. سوليم ايغلتن الابن، جمهورية مهاباد، ترجمة جرجيس فتح الله المحامي. دار الطليعة للطباعة والنشر، طبعة الاولى، ١٩٧٢.

٢٨. يوسف نور العوض. نقد العقل المتخلف، دار العلم، بيروت، ١٩٨٥.

٢٩. هانس هاوزر، كردستان مصير الشعب، ترجمة حسام الشهواني، مديرية البحوث والاحصاء.

٣٠. دينكن ميشل، معجم علم الاجتماع، ترجمة احسان محمد الحسن، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠.

٣١. مجلة السياسة الدولية. العدد ٦٧، سنة ١٩٧٢.

٣٢. جريدة (خبات) الاعداد ١٩٦٠.

٣٣. margret kehn. Children of The Jinn. New york, seaview Book. ١٩٨٠.

٣٤. عبدالله اوج الان. مسالة الشخصية في كردستان، منشورات حزب العمال الكردستاني.

## سلسلة التوعية

سلسلة كتيبات تصدر عن أكاديمية التوعية وتأهيل الكوادر، تعني بمختلف القضايا الفكرية والسياسية والمعرفية بهدف رفع مستوى الوعي وتفعيل عملية تأهيل الاعضاء والكوادر كجزء من متطلبات توفير المواد الضرورية لانجاز برنامج التطور النوعي لمؤسسات الاتحاد الوطني الكردستاني.

أكاديمية التوعية وتأهيل الكوادر

2013

السعر ( 1500 ) دينار